المجلد (21) ـ العدد (02) ـ 2024
ISSN: 1112-4938, EISSN: 2600-6456
مجلة البحوث والدراسات

مظاهر الالتزام وتقنياته في سرديات ابن محرز الوهراني

Aspects of commitment and its techniques in the narratives of Ibn Mahrez Al-Wahrani

مسعود بن ساري *
المركز الجامعي – ميلة – الجزائر
m.bensari@centre-univ-mila.dz

تاريخ الاستلام: 2023/05/14 تاريخ القبول للنشر: 2024/03/07 تاريخ النشر: 2024/07/20

ملخص

لا يخلو أي نص أدبي من تضمنه قضية الالتزام، فكل كاتب يجد نفسه مجبرا على اتخاذ موقف من قضايا عصره، الذاتية أو الاجتماعية، أو الإنسانية، أو غيرها. ولكنّ الاختلاف بين الأدباء في نوع الالتزام ودرجته وارد وثابت. فقد يقف الكاتب موقفا إيجابيا، أو موقفا سلبيا أو موقفا وسطا. عن وعي منه وإدراك أو عن غير وعي.

وتختلف طريقة الالتزام كذلك بين الأدباء من حيث اللغة والأسلوب ومن حيث التصريح والتلميح. وقد سجل ابن محرز الوهراني في نثره مواقف مميزة حول قضايا عصره، والتزم بها، وطرحها بتقنيات تعبيرية خاصة، حتى شكّلت تلك المواقف ظاهرة في أدبه. وذلك ما دفعنا إلى إعداد هذا المقال، الذي يسعى إلى بيان مظاهر الالتزام عند ابن محرز

* المؤلف المراسل

ISSN: 1112-4938, EISSN: 2600-6456

الوهراني، وأسبابها وتقنياتها وخصائصها وأثرها، من خلال نصوصه النثرية.

- **الكلمات المفتاحية:** مظاهر، الالتزام، تقنيات، سرديات، ابن محرز الوهراني.

Abstract:

No literary text is devoid of the issue of commitment, as every writer finds themselves compelled to take a stance on the issues of their era, whether they be personal, social, human, or otherwise. However, the difference between writers in the type and degree of commitment is inevitable and constant. A writer may take a positive stance, a negative one, or a middle ground, whether consciously or unconsciously.

The way commitment is expressed also varies among writers in terms of language, style, and the degree of explicitness or implication. Ibn Mahrez Al-Wahrani recorded distinctive positions on the issues of his time in his prose, committed to them, and presented them using unique expressive techniques, to the extent that these stances became a notable phenomenon in his literature. This prompted us to prepare this article, which aims to highlight the aspects of commitment in Ibn Mahrez Al-Wahrani's works, their reasons, techniques, characteristics, and impact through his prose texts.

Keywords: Aspects, commitment, techniques, narratives, Ibn Mahrez Al-Wahrani

مقدمة

إنّ قضية الالتزام في الأدب القديم ليست بالمحدثة ولا بالمبتدعة، بل إنّ جذورها ضاربة في القدم، وحضورها ثابت في فلسفة اليونان وآداب العرب على السواء؛ رغم أن نتاج المصطلح وشيوعه غربي وحديث. وقد شكل الالتزام في سرديات ابن محرز الوهراني حضورا مكثفا ومتنوعا، حتى غدا السمة البارزة في أدبه، والعلامة الراجحة في سرده. ومن خلال التزامه المتنوع، ونقده الممتع، بدا الوهراني صاحب مدرسة وفلسفة، حيث يطرح

رؤاه في كيفية سير الحاكم والمحكوم، والمال والعلوم، وما هو كائن وما ينبغي أن يكون، كل هذا وأكثر أبدعه بحكمة وفنون، وأحيانا بجنون.

إشكالية الدراسة:

في هذا السياق البحثي تبرز الإشكاليات الآتية: ما هي أنواع الالتزامات التي التزمها ابن محرز الوهراني في سردياته؟ وما هي جملة الأسباب والدوافع التي جعلته أو أجبرته على نهج هذا النهج؟ هل هي أسباب خارجية؟ أم ذاتية؟ وهل كان نقده هادفا وبَنَّاءً أم كان هادما وبلاء. وإذا سلمنا أنّ الالتزام في مضمونه نقد للمجتمع، للحاكم والمحكوم، وهو أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، علمنا أن ممارسته من الخطورة بمكان. فكيف وُفِّق فيها الوهراني ونجا؟ بل كيف أصبح محبوبا بينهم مقربا؟ وما هي التقنيات التي وظفها في ممارسته النقدية والتزاماته الأدبية؟

فرضيات الدراسة:

تفترض الدراسة أن دراسة الآثار الأدبية على ضوء علم الإنسان، أو أنثروبولوجية الأدب في هذا المقام، في سرديات ابن محرز الوهراني، تعد وثيقة تاريخية سوسيولوجية صادقة لذلك العصر، من خلال نصوص التزكية ونصوص التعرية التي مارس بها الوهراني نقده. كما تفترض أن الأدب الجزائري القديم كان له حضوره القوي والمقبول والمميز، وذلك بشهادة من عاصر الوهراني ومن أتى بعده.

منهجية الدراسة:

وضفت الدراسة المنهج التاريخي، إذ لا غنى عن تتبع دلالة الالتزام وتطوره. كما كان للمنهج النفسي حضور جيد، فالوهراني بأسلوبه وطريقة كتابته، وتعبيره وتهتكه في اللغة، والخروج عن حدود الآداب والمألوف، يُخَيَّل للقارئ الواعي من الوهلة الأولى أن المؤلف غير عادي وغير طبيعي، ويتساءل بينه وبين ذاته: ما الذي دفعه أن ينهج هذا النهج؟ ويقول هذا القول؟ ويسلك هذا المسلك؟ وبالتالي يسأل عن صحة المؤلف النفسية والعقلية من وجهة علم النفس الطبي، ويحاول تفسير ذلك. ولا شك أن المنهجية في مجملها

أنثروبولوجية تبحث في علم الإنسان، وتحاول تفسير سلوكه الاجتماعي كيفما كان صلاحا أو فسادا، كما تحاول تفسير سلوك الأديب في فعله: ماذا قال؟ وكيف قال؟ ولماذا قال هكذا؟

هدف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى إحياء الأدب الجزائري القديم، وكشف جمالياته وقيمه، وعرض النص القديم بمنهج جديد، وقراءة حديثة، وبالتالي نجدد صلاحية ذلك الأثر الأدبي، الذي لم تنته صلاحيته ولن تنتهي. كما نتعرف على إنسان ذلك الزمان، وكيف كان، وكيف كان يطمح أن يكون، إنها لملمة للتراث الأدبي الجزائري القديم خاصة، في آثار أبرز أعلامه الوهراني.

1. المفاهيم ودلالتها:

1.1. مفهوم الالتزام:

إنّ قضية الالتزام في الأدب القديم ليست بالمحدثة ولا بالمبتدعة، بل إنّ جذورها ضاربة في القدم، وحضورها ثابت في فلسفة اليونان وآداب العرب على السواء؛ رغم أن نتاج المصطلح وشيوعه غربي وحديث.

يأتي الالتزام في اللغة من: "لزم الشيء يلزمه لزما ولزوما، ولازمه ملازمة ولزاما، والتزمه وألزمه إيّاه فالتزمه، ورجل لُزَمةٌ: يلزم الشيء فلا يفارقه (..) وهو في اللغة الملازمة للشيء والدوام عليه (..) والالتزام الاعتناق"[1]. أما اصطلاحا: فيعني: "مشاركة الشاعر أو الأديب الناس همومهم الاجتماعية والسياسية ومواقفهم الوطنية، والوقوف بحزم لما يتطلبه ذلك، إلى حدّ إنكار الذات في سبيل ما التزم به الشاعر أو الأديب"[2].

وما من شك أنه يعني أيضا: "حرية الاختيار، وهو يقوم على المبادرة الحرة الإيجابية من ذات صاحبه، مستجيبا لدوافع وجدانية نابعة من أعماق نفسه وقلبه، ولعل هذه الحرية هي التي تضفي على الالتزام معنى الشعور بالالتزام"[3]. وإذا دل الالتزام على الإرادة والاختيار،

فإن الإلزام عكس ذلك، لأنه يعني الجبر والإكراه، من طرف "خارجي من سلطة أو ديكتاتورية مستبدة، تجعل من الأدباء أبواقا تسبح بحمد السلطة، وتروّج لأفكارها ومبادئها، وتنشر فلسفتها وآراءها"[4].

وفي مثل هذا الحال يكون الالتزام أمرا طبيعيا فطريا، لا شعوريا بالبديهة، هكذا يرى الحكيم ويريد الالتزام عند الأديب؛ حيث يقول: "يجب أن يكون الالتزام جزءا من كيان الأديب أو الفنان، ويجب أن يلتزم وهو لا يشعر أنه ملتزم". وفي أهمية الالتزام نجد "بعض المذاهب منها الواقعية مثلا، رأت في الالتزام ضرورة، ونظرت إلى الأدب غير الملتزم على أنه نوع من العبث ونوع من العدميّة"[5].

2.1. تاريخ الالتزام:

وكأني بتلك المذاهب مثل الواقعية، تحيي بشكل ما جذور نظرية الالتزام في الأدب عامة والشعر خاصة التي أسسها **أفلاطون** (427 ق.م – 347 ق.م)؛ الذي يرى بأنّ "الشعر له غاية نبيلة وكاملة، والشعر الوحيد المسموح به في جمهوريتنا الفاضلة، هي الترانيم للآلهة والثناءات على الرجال المشاهير ذوي الفضيلة؛ وإنه لعمل نبيل في غايته وهدفه"[6].

وعلى حد قول أفلاطون لا مكان في جمهوريته الفاضلة للشاعر غير الملتزم، لأنه سيكون مصدر فساد للشباب وللمجتمع، ولذلك طرد أمثال هؤلاء. أما تلميذه **أرسطو** (384 ق.م – 322 ق.م) فقد نادى بنظرية التطهير، كنتيجة للفن الملتزم الهادف. ويأتي التطهير بمعنى التنقية والتنفيس، ذلك أن التراجيديا تتضمن مشاهد تثير –على الخصوص– عاطفتي الرحمة والخوف في نفس المشاهد أو القارئ، فتسمو نفسه وتتطهر من تلك المشاهد المصورة، بعدما شارك معاناة الآخرين شعوريا[7].

ورغم أن **العصر الجاهلي** كان عصر بداوة وبساطة، غير أنّ شعره لم يخلُ من الالتزام في بيئاته الثلاث: بيئة القبيلة وبيئة الصعاليك وبيئة البلاط، على حد سواء؛ ولربما كان شاعر القبيلة أكثر التزاما من الآخَرَيْنِ، من حيث الكثرة والتنوع وتوهج العواطف. ومن نماذج الشعر الجاهلي القبلي معلقة عمرو بن كلثوم[8]:

ISSN: 1112-4938, EISSN: 2600-6456

أَلَا هُبِّـــــــي بصَـــــــحنِكِ فاصـــــــبحينا
وَلَا تُبْقِـــــــي خُمُـــــــورَ الأَنْـــــــدَرِينا

وهي أشهر شعره وأشعره، وهي حماسية فخرية، وقد قام الشاعر بها خطيبا في سوق عكاظ، وقام بها في موسم مكة، وقبيلته بنو تغلب تعظمها جدا، ويرويها صغارهم وكبارهم. حتى هُجُوا بذلك؛ قال بعض شعراء بكر بن وائل[9]:

ألهـــى بنـــي تغلـــب عـــن كـــل مكرمـــة
قصـــيدة قالهـــا عمـــرو بـــن كلثـــوم
يروونهـــا أبـــدا مـــذ كـــان أولهـــم
يـــا للرجـــال لشـــعر غـــير مسـؤوم

ولئن كان شاعر القبيلة مكرما ومعظما، وصوتا للجماعة مهما غوت أو رشدت، فإنّ شعر الصعاليك "يمثل الفطرة العربية، ويعبر عن معاناة وجدانية لمحنة الغربة والتشرد، ويعكس صورة من واقع حياتهم المحرومة من أنس الجماعة"[10]. وهكذا يلتزم الحديث عن الذات، ويقدس الجسد، ويمجد السطو والغارات والجري والمراقبة من أعلى المراقب، ملتزما هذا النهج والفكر، مخالفا شاعر القبيلة، مؤثرا التعبير عن ذاته بدل التعبير عن الجماعة، وإن كانت له جماعة يعتزّ بها فهم عصبته من الصعاليك مثله. ومن النماذج المشهورة المحببة، لامية العرب للشنفرى[11]:

أَقيمـــوا بَنـــي أُمّـــي صُـــدورَ مَطِـــيِّكُم
فَـــإِنّي إِلى قَـــومٍ سِـــواكُم لَأَمَيـــلُ
فَقَـــد حُمَّـــت الحاجـــاتُ واللَيـــلُ مُقمِـــرٌ
وَشُـــدَّت لِطِيّـــاتٍ مَطايـــا وَأَرُحـــلُ

وَفي الأَرضِ مَنـــــأى لِلكَـــــريمِ عَـــــنِ الأَذى
وَفيهـــــا لِمَـــــن خـــــافَ القِـــــلى مُتَعَـــــزَّلُ
لَعَمـــــرُكَ مـــــا في الأَرضِ ضـــــيقٌ عَـــــلى اِمـــــرِئٍ
سَرى راغِبـــــاً أَو راهِبـــــاً وَهـــــوَ يَعقِـــــلُ
وَلي دونَكُـــــم أَهلَـــــونَ ســـــيدٌ عَمَلَّـــــسٌ
وَأَرقَـــــطُ زُهلـــــولٌ وَعَرفـــــاءُ جَيـــــأَلُ
هُـــــمُ الأَهـــــلُ لا مُســـــتَودَعُ السِرِّ ـــــ ذائِـــــعٌ
لَـــــدَيهِم وَلا الجـــــاني بِـــــما جَـــــرَّ يُخـــــذَلُ

أما الأنموذج الثالث من الشعر الجاهلي الملتزم فهو شعر البلاط، وقد زعم ابن رشيق إنّ العرب كانت "لا تتكسب بالشعر، وإنما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهة أو مكافأة عن يد لا يستطيع أداء حقها إلا بالشكر إعظاماً لها (..) حتى نشأ النابغة الذبياني فمدح الملوك، وقَبِل الصلة على الشعر، وخضع للنعمان بن المنذر (..) حتى كان أكله وشربه في صحاف الذهب والفضة، وأوانيه من عطاء الملوك (..) وتكسب زهير بن أبي سلمى بالشعر يسيراً مع هرم بن سنان؛ فلما جاء الأعشى جعل الشعر متجراً يتجر به"[12]. قال النابغة[13]:

فَلَـــــن أَذكُـــــرَ الـــــنُعمانَ إِلّا بِصـــــالِحٍ
فَـــــإِنَّ لَـــــهُ عِنـــــدي يُـــــدِيّاً وَأَنعُـــــما

هكذا يصرح النابغة أنّه التزم ونذر نفسه لمدح المنذر بن النعمان بن ماء السماء، ولم يجد في ذلك غضاضة، وفي كل الأحوال هو نوع من الالتزام، رغم معاناة الخضوع والهوان، وهدر إنسانيته إلى درجة العبودية، وما اعتذارياته إلا خير شاهد على ذلك، لِما صوّرته من ذلة وضراعة، ليمُنّ عليه مليكه بالرضوان والصفح، حين غضب منه من وشاية حاسد، أو كذبة حاقد.

ISSN: 1112-4938, EISSN: 2600-6456

وبمجيء الإسلام تحول الالتزام من القبيلة إلى الأمة، ومن العصبية الجاهلية إلى العقيدة الدينية. فأصبح الصراع على أساس الدين ومن أجله؛ فالتف حول الرسول -صلى الله عليه وسلم- شعراء من أمثال حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك للدفاع عن الرسول وعن الإسلام والمسلمين والتزموا بذلك دون غيره. قال حسان ردا على أبي سفيان[14]:

هجَـــــوتَ مُحَمَّـــــداً فَأَجبـــــتُ عَنــــهُ
وَعِنــــــدَ اللهِ في ذاكَ الجَـــــزاءُ

أَتَهجـــــوهُ وَلَســــتَ لَـــــهُ بِكُـــــفءٍ
فَشَرُّكُمـــــا لِخَـــــيرِكُما الفِـــــداءُ

هَجَـــــوتَ مُبارَكـــــاً بَـــــرّاً حَنيفـــــاً
أَمـــــينَ اللهِ شــــيمَتُهُ الوَفـــــاءُ

فَمَـــــن يَهجـــــو رَســـــولَ اللهِ مِـــــنكُم
وَيَمدَحُـــــهُ وَيَنصُرُـــــهُ سَـــــواءُ

فَـــــإِنَّ أَبي وَوالِـــــدَهُ وَعِـــــرضي
لِعِـــــرضِ مُحَمَّـــــدٍ مِـــــنكُم وِقـــــاءُ

كما ناصر جبهة الكفّار شعراء انتدبوا لذلك وهم: أبو سفيان بن الحارث، وعبد الله بن الزبعري، وضرار بن الخطاب. وفي العصر الأموي التزم الشعراء بمناصرة أحد الأحزاب التي تولدت بعد فتنة مقتل عثمان -رضي الله عنه-، فوقف عمران بن حطان شاعرا للخوارج، الذي مدح عبد الرحمن بن ملجم قاتل الإمام علي -كرم الله وجهه-، والتزم الكميت الأسدي شاعرا للشيعة، وأشهر شعره الهاشميات، ومنها[15]:

طرِبـــــتُ ومـــــا شَـــــوقاً إلى البِـــــيضِ أَطـــــرَبُ
ولاَ لَعِبًـــــا مِنّـــــي أذُو الشَّـــــيبِ يَلعَـــــبُ
ولم يُلهِنِـــــي دارٌ ولا رَســـــمُ مَنـــــزِلٍ
ولم يَتَطَرَّبنِـــــي بَنـــــانٌ مُخَضَّـــــبُ
وَلاَ أنَـــــا مِمَّـــــن يَزجـــــرُ الطَّـــــيرَ هَمُّـــــهُ
أصَـــــاحَ غُـــــرَابٌ أم تَعَـــــرَّضَ ثَعلَـــــبُ
ولا السَّـــــانِحَاتُ البَارِحَـــــاتُ عَشِـــــيَّةً
أمَـــــرَّ سَـــــلِيمُ القَـــــرنِ أم مَـــــرَّ أَعضَـــــبُ
وَلكِـــــن إلى أهـــــلِ الفَضَـــــائِلِ والنُّهَـــــى
وَخَـــــيرِ بَنِـــــي حَـــــوَّاءَ والخَـــــيرُ يُطلَـــــبُ
إلى النَّفَـــــرِ البـــــيضِ الـــــذِينَ بِحُـــــبِّهِم
إلى الله فِـــــيمَا نَـــــابَنِي أتَقَـــــرَّبُ
بَنِـــــي هَاشِـــــمٍ رَهـــــطِ النَّبِـــــيِّ فـــــإنَّنِي
بِهِـــــم ولَهُـــــم أَرضَى مِـــــرَاراً وأغضَـــــبُ

كما التزم لخدمة الحزب الأموي عدة شعراء أشهرهم: الأخطل والحطيئة وجرير والفرزدق. أما الحزب الزبيري فاشتهر منه ابن قيس الرقيات، "ولعل شاعرا لم يبلغ من ذلك ما بلغه ابن قيس الرقيات، فهو شاعر الزبيريين ونظريتهم السياسية"[16].

فإذا ارتحلنا إلى العصر العباسي نجد أشكالا جديدة للالتزام قد طفت على العصر وطغت، أبرزها الالتزام الحضاري والالتزام الفكري. وقد تجسد الأول في شعر أبي نواس، فإذا هو التغني بالخمرة وبفارسيته، أما الثاني فالتزام لأفكار جديدة مثلها المتنبي وأبو العلاء

ISSN: 1112-4938, EISSN: 2600-6456

وأبو تمام. وليس بعيدا من العصر العباسي تنشأ الدولة الأيوبية[17]، وفي ظلها عاش ابن محرز الوهراني، ليبدع ألوانا نثرية أدبية متباينة من الالتزام، قد شدنا الفضول العلمي لكشفها ونشرها، والتعريف بصاحبها وبأسلوبه ومنهجه، وبمقاصدها.

2. ترجمة المؤلف:

هو أبو عبد الله محمد بن محرز، ولد ونشأ بمدينة وهران، وبعد أن تلقى مبادئ العلوم بها غادرها غلى مصر راغبا في التحصيل على وظيفة كانت في ديوان إنشاء الملك صلاح الدين الأيوبي، وبعد اتصاله برئيس الديوان أي القاضي الفاضل لم يظفر بمرغوبه لأنه مغربي، وقد كان المصريون ينظرون إلى كل مغربي بعين الازدراء في العصور السالفة، كان ابن محرز على حظ من كبير من الظرف والفضل والأدب، ويمتاز أدبه بالسخرية البارعة والتهكم اللاذع، ومن آثاره عدة رسائل في السخرية والتهكم هي آية في الإجادة والإبداع، وهي تارة على شكل أحلام، وطورا على شكل حكم وأمثال، تناول فيها عدة طوائف من العلماء والكتاب والشعراء وكذا القضاة والوزراء وحتى المتصوفة[18].

ويقول في ترجمته عادل نويهض ويضيف ما نصه: "محمد بن محرز بن محمد الوهراني ركن (الدين، أبو عبد الله)، الدين، أبو عبد الله: أديب صناعته الإنشاء، كان بارعا في الهزل والسخرية. نشأ بوهران ورحل إلى المشرق فمر بصقلية، دخل دمشق في عهد نور الدين محمود بن زنكي ثم زار بغداد وعاد الى دمشق فولي خطابة جامع داريا من قراها. زار القاهرة في أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي فلقي القاضي الفاضل وعماد الدين الاصبهاني وغيرهما، وعاد الى داريا وتوفي فيها"[19].

أما الصفدي فيذكر من أخباره أنه "ابْن مُحرز ركن الدّين الوهراني مُحَمَّد بن مُحرز أَبُو عبد الله، الْمَعْرُوف بِرُكْن الدّين الوهراني، وَقيل جمال الدّين. أحد ظرفاء الْعَالم وأدبائهم، قدم من الْمغرب إِلَى مصر وَهُوَ يَدعِي الْإِنْشَاء، فَرَأى الْفَاضِل والعماد وَتلك الحلبة، فَعلم أَنه لَيْسَ من طبقتهم، فسلك ذَاك الْمنْهَج الحلو والأنموذج الظريف، وَعمل الْمَنَام الْمَشْهُور، وَله ديوَان

ترسل، قدم دمشق وَأقَام بهَا مُدَّة وَبهَا توفّي سنة خمس وَسبعين وَخمْس مائَة ووهران مَدِينَة كَبِيرَة وَبَينهَا وَبَين تلمسان يَوْمَانِ بنيت سنة تسعين وَمِائَتَيْنِ والمنام الَّذِي عمله سلك فِيهِ مَسْلَك أبي الْعَلَاء المعري فِي رِسَالَة الغفران لكنه ألطف مقصداً وأعذب عبارَة"[20]. وعن تاريخ وفاته قيل: "مات في رجب بدمشق"[21]. سنة 575هـ=1179م.

3. مظاهر الالتزام:

إن الظروف الذاتية النفسية والسياسية والاجتماعية، هي التي هيأت الوهراني أن يكون ملتزما بشكل أو بآخر، وقد تمظهر التزامه تجاه ذاته ومجتمعه ودينه وساسته وإنسانيته وفنه. ولم يكن في نقده سطحيا ظاهريا، ولا مجاملا مرائيا، بل فصَّل وحلَّل وتعمَّق في كل محطة من تلك المحطات، هذا بيانها.

1.3. مظاهر الالتزام الذاتي:

كانت شخصيته – بطبعها وفطرتها – ملتزمة بعدم الرضا عن ذاته خاصة من الناحية المادية، ومن الطبيعي إذًا أن نجده كثير الأسفار، عظيم الطموح، مؤمنا أن الدنيا تؤخذ غِلاَبا، ولعل ذلك ما نستشفه من بعض ما قاله في مقامته البغدادية؛ حيث يقول: "لما تعذّرت مآربي، واضطربت مغاربي، ألقيت حبلي على غاربي، وجعلت مذهبات الشعر بضاعتي، ومن أخلاف الأدب رضاعتي، فما حللت بأمير إلا حللت ساحته، واستمطرت راحته، ولا وزير إلا قرعت بابه، وطلبت ثوابه، ولا بقاض إلا أخذت سيبه، وأفرغت جيبه، فتقلبت بي الأعصار، وتقاذفت بي الأمصار (..) حتى قربت من العراق (..) فدخلتها بعد مقاساة الضر، ومكابدة العيش المر"[22].

تتجلى مظاهر الالتزام الذاتي عند الوهراني، في نقده لذاته ووصفه لحاله، في جميع أمور دنياه وآخرته، والطريف في هذا الموقف من نقد الذات، وتعرية النفس، أنّه يجليها كما هي دون تزيين أو تزييف، بل ينتقد ذاته ويهجوها تماما كما يفعل مع الغير ولربما أكثر. ومن مظاهر الالتزام الذاتي وصفه لنفسه بالفشل وعدم التوفيق في تحصيل الرزق والغنى، في رسالته لأمه إذْ يقول: "مني إلى أمي أما بعد: فإني ما أفلحت عندك ولا ها هنا، دخلت

القيروان بكرة، واشتهيت أخذ الولاية ضحوة، وأتزوج بنت السلطان عشية، فلم تساعدني المقادير، فرجعت إلى سوق البزّ أبيع وأشتري، أبيع ثيابي وأشتري الخبز إلى أن نفدت البضاعة، فلزمت المساجد في أوقات الصلوات، أسرق لوالك المصلين، وأرهنها عند اليهود الخمارين، (على النبيذ في المواخير)، وإن قيل لك عني إني مدبر فلا تصدِّقي، والسلام"[23].

ومن صور الالتزام بنقد الذات، ورمي نفسه بالفاحشة، ما رواه الوهراني في المنام: "فما انقضت أمنيتي حتى طلع عبد الواحد بن بدر من جانبي وقال لي: الساعة رأيت عدة جوارٍ يطلبونك مع بعضهم أولاد، يزعمون أنهم منك، (وأنت تنفيهم عنك)، وبعضهم يدّعي أنك بعتهم لغيرك، وهم حبالى منك، فقلت له: هوِّن عليك يا شيخ (ولا يكن عندك أخس منهم)"[24]. إنه يرمي نفسه بالزنا في منامه، مبرزا تلك الآفة المتفشية في عصره، وما يترتب عنها من أولاد غير شرعيين، مصيرهم الضياع والجريمة.

وفي موقف آخر نجد الوهراني مدافعا عن ذاته، فهي أعز عليه من أن تهان، أو يشار إليها بشرٍّ بالبنان أو اللسان، ولا شك أن نقده للغير قد عرضه للشكوى عند السلطان، ولا أدل على ذلك هذه العارضة التي يكتبها للسلطان، يبرئ فيها ذمته من ظلم الناس، ويزعم أنه متسامح وطيب وإنسان صالح؛ حيث يقول: "إنما قدَّم المملوك هذه المقدمات، وعدَّد هذه الجنايات، لئلا يظهر عنه بعد هذا نفثة مصدور، أو ضربة موتور، فيظن ظان أو يتوهم متوهم من الناس أن الوهراني شرير وسخ اللسان، لا يسلم منه عدو ولا صديق، ومعاذ الله وحاشا الله والله يعلم ويشهد وكفى الله شهيدا أن المملوك يخاف الله فيمن يخاف الله، ويراقب الله فيمن يراقب الله، وإنه يراعي هذا الباب مذ كان. ولقد آذاه جماعة من أهل الدين والصلاح لتوهم فاسد توهموه، فترك أذيتهم والولوع بهم لوجه الله تعالى وخوفا من عقوبته"[25].

2.3. مظاهر الالتزام الاجتماعي:

كان ابن محرز يفكر بعمق في تناقضات مجتمعه، ولا شك أنه كان يغضب من مظاهر الشر

التي يصدم بها في الواقع، وكان صاحب عقل وتأمل، وذا قلب وتدبّر، وذا عين ناقدة غير راقدة، وكان إلفًا مألوفا، محبا لغيره ومحبوبا، يخالط العامة والخاصة من الناس، ويعرف أخبارهم، ويعلم أسرارهم، وما يسرهم وما يضرهم، وقد كثرت في مجتمعه الأيوبي – آنذاك– مظاهر الفساد والفقر واللاعدل، ولما كان الوهراني نفسه أحد ضحايا تلك الآفات الاجتماعية، التزم بقضايا مجتمعه، فكشفها وفضحها ودعا إلى إصلاحها.

ولنتأمل كيف يصف المجتمع العراقي والعراق آنذاك، إذْ يقول: "فلما قرّ بها قراري، وانجلى بها سراري، طفتها طواف المفتقد، وتأملتها تأمل المنتقد، فرأيت بحرا لا يعبر زاخره، ولا يبصر آخره، وجنّةَ أبدع جنّانها، وفاز باللذة سكانها، لا يميل عنها المتّقون، ولا يرتقي إلى صفتها المرتقون"[26].

يقول سارتر في حقيقة الأدب: "مما لا ريب فيه أن الأدب المكتوب واقعة اجتماعية، ولا بد أن يكون الكاتب مقتنعا به عميق الاقتناع، حتى قبل أن يتناول القلم، إنّ عليه بالفعل أن يشعر بمدى مسؤوليته، وهو مسؤول عن كل شيء، عن الحروب الخاسرة أو الرابحة، عن التمرد والقمع، إنه متواطئ مع المضطهِدِين إن لم يكن الحليف الطبيعي للمضطهَدِين"[27].

وكأنَّ الوهراني كان واعيا لهذه المقولة الفلسفية، بل نحسبه عاش ما نظَّره سارتر بعده، ولذلك نراه يشهر قلمه ويصوبه تجاه آفات مجتمعه الكبرى منها والصغرى، وقد كان عصره –كما نعلم– عصر ضعف وفوضى وحروب، مما هيّأ له من الآفات الاجتماعية الكثير. ولنقف عند الثالوث الأخطر منها: الجهل والفقر والمرض.

الجهل: ومن ذلك في مقامة له يصف رجلا جاهلا، تزوج من عجوز غنية، جعلته بمالها عالما فقيها في ظاهره وشكله، وهو ليس من العلم والفقه في شيء. قال الوهراني: "هو رجل حاول كل معيشة، فلم يقدر على حشيشة، فساقه القضاء المقدر إلى عجوز مغربية (..) قد أخصب مكانها، وامتلأت بالكسر أركانها، فجاء هذا الشيخ أبو الخرا، يطلب بيتا للكرا، وهو كما رأيت قد جمع بين الجفا، وغلظ القفا، فأبصرته العجوز على تلك الحالة، فتوسمت فيه عظم الآلة، فسرى خيالها، وسال عليه ربالها، ولم يفارق بابها حتى كتبت عليه كتابها (..)

فقامت على الفور، وهو من ورائها كالثور، حتى دخلت السوق (..) ففتحت له العباب، وفصلت عليه الثياب، ولم يفارق الدكان، حتى قالت له: كن فقيها فكان"[28].

الفقر: وحين تفشى الفقر بأرباب العلم والشعراء، وأُغلِق باب السلطان عن الأدباء، وانعدم منهم المنْح والعطاء، ضجّ الوهراني وصوّر ذلك في مشهد حواري، أصدق ما يقال عليه: (إن من الهم ما يضحك). قال الوهراني: "واجتمع ببعض المعارف، الراسخين في المعارف، فسأله عن أسعار الأشعار، فأخبره عنها بالكساد والفساد، وعن أهلها بالحراف والانحراف، وقال: كل كلام مسجوع، ولا يسمن ولا يغني من جوع، وصاحب القصيد، كباسط ذراعيه بالوصيد، وما عند الأمراء، أخس من ذقون الشعراء"[29].

المرض: كانت أمراض كثيرة متفشية في مجتمع الوهراني، أمراض عضوية، وأخرى معنوية، استطاع أن يبسطها الوهراني بسطا طريفا ساخرا. ومن تلك النماذج يصف ابنة له نحسا زوجها، سرعان ما تسببت في موت زوجها الأول من كثرة طلباتها ومصاريفها، وهي توشك على التخلص من الثاني -كما تنبأ أبوها-، وقد سارع الوهراني بعرضها على الزوج الثالث ممازحا، واشترط عليه أن يكتب وصيته قبل أن يقدم لها صداق زواجها. قال الوهراني: "وأما أخبار الوهراني فهو بحمد الله في عافية هو ومن عنده، وكان قد زوج ابنته في رأس هذا السنة بشاب من أبناء المصريين (..) لكن الزوج من يوم دخل عليها مرض مرضا زائدا رديا (..) الزوج الأول كان اسمه أبو المجد، وهذا الثاني أبو المجد، إذا مات يكون قد قلعت اثنين (..) إذا تخلصت من هذا نملكها عليك، إن شاء الله حين تصل، لكنك تكتب الوصية قبل الصداق والسلام"[30].

3.3. مظاهر الالتزام الديني:

إن التزام الوهراني الديني فرضته عوامل شتى؛ أولها: ارتباطه بالمكان الديني مثل الجامع والمئذنة لاعتباره أهم الأمكنة التي تبث في روحه السكينة والطمأنينة، وثانيها: قداسة المكان، ورميه بالفساد والهوان، من طرف العامة والسلطان، وثالثها: أنها كانت مكان عمله

ومصدر رزقه، ورابعها: مهنة الخطابة الدينية في مسجد داريا بدمشق آنذاك. كل ذلك حمله أن يلتزم الدفاع عن المؤسسة الدينية، وينادي بإصلاحها، ويفضح المنتسبين إليها زورا ومصلحة وتقصيرا.

قد علمنا أن الوهراني كان إماما خطيبا، ومن ثمة فهو مسؤول أدبيا عن المؤسسة الدينية، وعن شرعها وحلاله وحرامه، ولذلك طالما نادى الوهراني في سردياته بإصلاح المساجد، وتهيئتها لكل عابد، ودرء المفاسد وجلب المحامد، وفضح كل منافق فاسد. قال الوهراني: "لما تحكمت يد الضَّياع في مساجد الضِّياع، وارتجّ باب العدل وغلق، ونبذ كتاب الله وحلق، فزعت المساجد إلى جامع جلق، وهو يومئذ أميرها وعليه مدار أمورها (..) فلما اجتمعوا على بابه (..) كانت الرقعة مسطورة على هذه الصورة: (..) المماليك مساجد صور الكورة يقبلون الأرض بين يدي الملك المعظم (..) وينهون إلى مجلسه السامي ما يقاسونه من جور العمال، وتضييع الأعمال، ونهب الوقوف، وخراب الحيطان والسقوف (..) وقد ركعت حيطانها وسجدت سقوفها وأركانها (..) وقد فزعنا أيها الملك إلى بابك، وأدينا إلى جنابك، فافعل معنا ما هو أولى بك (..) والسلام"[31].

إن شكوى مساجد دمشق وضواحيها إلى الجامع الكبير في دمشق ولعله المسجد الأموي، تصوير للحالة المزرية التي آلت إليها بيوت العبادة المساجد، وقد عمها الفساد والضياع. وأكثر من وجّه الوهراني نحوهم نقده، أولئك المنافقين المرائين، من لبسوا لباس الدين ظاهريا، وفعلوا كل ما يتنافى مع الدين دون خجل أو حياء. كهذا الدعي الذي يزعم أنه أعلم أهل الأرض، وهو يفسد فيها، ويهلك الزرع والضرع، وينتهك المحرمات دون ستر أو مواراة.

وفي مثل هذا الرجل كتب ابن محرز رسالة إلى الشيخ عبد الحليم الواعظ على لسان الفقهاء، مستفتيا وفاضحا ذلك الرجل: "ما تقول السادة الفقهاء -رضي الله عنهم وأرضاهم- في رجل يَرى أنه من أئمة الشرع، ومن أرباب الأصل والفرع، ويَعتقد أنَّ له الدرجة المنيفة، في مذهب أبي حنيفة، ويقول: لو جادلت مالكًا لكنت له مالكًا، ولو لقيت

ابن إدريس لسلّم إليّ التدريس، ولو أدركتُ ابن حنبل لكنت أتقى منه وأنبل، وَسِرُّهُ –وفقكم الله– بخلاف نجواه، وفعلُه يُكذِّبُ دعواه، وذلك أنه يبيح الفروج بفروج، ويستحل سفك الدما على البيض الدمى، ويأخذ بأرخص الأقوال في استباحة الأموال"[32].

4.3. مظاهر الالتزام السياسي:

قيل: إن "السياسة هي فن ممارسة القيادة والحكم، وعلم السلطة أو الدولة، وأوجه العلاقة بين الحاكم والمحكوم (..) وهي النشاط الاجتماعي الفريد من نوعه الذي ينظم الحياة العامة، ويضمن الأمن ويقيم التوازن والوفاق من خلال القوة الشرعية والسيادة بين الأفراد والجماعات"[33]. لقد احتك ابن محرز بأهل السياسة كلهم، من أدناهم مرتبة إلى أعلاهم، حيث نجد له رسائل مع الأمراء والولاة والوزراء والملوك منهم والخلفاء، وقد عرفهم وخبرهم وخالطهم، وفي ذلك يقول: "وأما الملوك فقد لقيت كبارها، وحفظت أخبارها، وقد كتبت في ذلك مجلدا، وتركت ذكرهم فيه مخلَّدا، فأيّ الدول تجهل؟ وعن أيها تسأل؟"[34].

أما بواعث التزامه السياسي مع أولئك الساسة فإنما هو المدح والهجاء والتكسب والطلب والرجاء والشكوى من شظف العيش وظلم بعض الخصوم.

قال ابن محرز في رسالة إلى الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي –رحمه الله–: "الملك الناصر –أدام الله أيامه وحرس إنعامه– كالفلك الدائر، إن وافقك في الصعود، وقابلك بالسعود، أورق في يدك يابس العود، وكالبحر الزاخر إن ركد غليانه، وسكن هيجانه، أغناك لؤلؤه ومرجانه، والخادم (يقصد نفسه الوهراني) يتوقع نظرة من سعوده، أو ذرة من نجاز وعوده، يبلغ بها مناه، ويصل بها إلى غناه، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب"[35]. هكذا نعتقد الالتزام السياسي كان دافعه إملاق وحاجة وفقر مسَّت الوهراني، فهرع للتكسّب ببضاعة الأدب.

وفي مقامته البغدادية أبدى رأيه وحكمه على كثير من ملوك دولة الموحدين، وملوك دولة الملثمين، وملوك صقلية النورمنديين، وملوك الدولة الفاطمية، ثم ملوك الدولة الأيوبية، وختمها بالحديث عن الخليفة العباسي المعاصر له في بغداد (المستضيء بأمر الله). وفيه يقول: "قلت له حدثني أنت عن سيرة الإمام، في هذه الأيام، فإني ذاهب إلى قوم يعتقدون إمامته حقا لازما، وولايته فرضا جازما، يتقربون إلى الله بمحبته، ويتوسلون إليه بحرمته، فقال: ما عسى أن أقول في ابن عم رسول الله، خليفة الله في بلاده، ووصيه على أولاده، ومسيح زمانه، ومهدي عصره وأوانه، عزيمته أمضى من الحسام، ويمينه أندى من الغمام، ووجهه أبهى من البدر ليلة التمام، قد جمه الله فيه من الفضل والوفاء ما فرَقه الله في سائر الخلفاء، فكأنه السفاح في حزمه وعزمه، والمهدي في دولته وصولته، والرشيد في سياسته ورياسته، والأمين في بهائه وسخائه، والمأمون في علمه وحلمه، والمعتصم في شهامته وصرامته"[36].

5.3. مظاهر الالتزام الإنساني:

أما التزامه الإنساني فمرجعه للترقي الحضاري الذي بلغه الإنسان في هذا العصر، فلطالما كان الالتزام الإنساني ديدن ذوي الألباب والسادات في كل عصر وفي كل مكان. "والإنسانية تدل على ما اختص به الإنسان من الصفات، وأكثر استعمال هذا اللفظ في اللغة العربية إنما هو المحامد، نحو الجودة والكرم وغيرها"[37].

قال الوهراني: "قرأت في بعض الأمثال قال: كتب كلب إلى كلب، أما بعد يا أخي –أدام الله حراستك– فإن بني آدم قد تسافلوا إلى حدٍّ ما عليه من مزيد، حتى بقيت أنا وأنت بالإضافة إليهم كمعن بن زائدة وطلحة الطلحات، فارْتَعْ في المجازر، ونَمْ في المزابل، وارفعْ ساقك، وبُلْ على مَنْ لَقِيتَ منهم، والسلام"[38]. هكذا تتجلى إنسانية الوهراني وتترقى لترحم الحيوان وتفكر في عطشه وجوعه.

ومن الكلب إلى الطير يستنطقه، ويعبر عن مكنوناته بلسانه، ثم إلى بغلته، التي لا يجد حرجا ولا غضاضة أن يسأل لها من الأمير، ما طاب من العلف والشعير، في رائعة سردية من روائعه، يتعجب القارئ كيف أُوحي إليه بفكرتها، وكيف جمع ألفاظها ومعانيها، وكيف تفنّن في أسلوبها وصورها. حيث يقول للأمير عز الدين موسك: "المملوكة ريحانة بغلة الوهراني تقبل الأرض بين يدي المولى عز الدين حسام امير المؤمنين، نجاه الله من حر السعير، وعظم بذكره قوافل العير، ورزقه من القرط والتبن والشعير ما وسق مائة ألف بعير (..) قد أشرفت مملوكته على التلف، وصاحبها لا يحتمل الكلف، ولا يوقن بالخلف (..) ومعلوم يا سيدي أن البهائم لا توصف بالحلوم، ولا تعيش بسماع العلوم، ولا تطرب إلى شعر ابي تمام، ولا تعرف الحارث بن همام، ولا سيما البغال، التي تشتغل في جميع الأشغال (..) هذا الامير عز الدين سيف المجاهدين (..) لا يرد قائلا، ولا يخيب سائلا. فلما سمعت المملوكة هذا الكلام، جذبت الزمام، ورفست الغلام، وقطعت اللجام، وشقت الزحام، حتى حطت خدها على الأقدام، ورأيك العالي والسلام"[39].

6.3. مظاهر الالتزام الفني:

لا شك أن للوهراني شخصية أدبية مميزة، بل مدرسة في الكتابة، لها ما لها وعليها ما عليها، ولعل من أبرز سماته فنيا هي السخرية والإغراب واستعمال العامية والرمزية واستعمال البديع. وقد دفعه إلى نهج هذا المسلك الفني وجود منافسة على حلبة الأدب، فقد كان في بداية عهده جادا غير ساخر، ولكنه رأى من بعض منافسيه تفوقا في حلبة الأدب، فالتزم هذا النهج الفني في الكتابة.

كما قال ابن خلكان: "فلما دخل البلاد (مصر)، ورأى بها القاضي الفاضل وعماد الدين الأصبهاني الكاتب وتلك الحلبة، علم من نفسه أنه ليس من طبقتهم، ولا تتفق سلعته مع وجودهم، فعدل عن طريق الجد وسلك طريق الهزل، وعمل المنامات والرسائل المشهورة به والمنسوبة إليه، وهي كثيرة الوجود بأيدي الناس، وفيها دلالة على خفة روحه ورقة

حاشيته وكمال ظرفه، ولو لم يكن له فيها إلا المنام الكبير لكفاه، فإنه أتى فيه بكل حلاوته"[40].

وأنا أؤكد أن للوهراني شخصية خلقت بطبعها ناقدة، لا يرضى الضيم، ونفسه تواقة للغنى والعيش الهني، وعملية نقد العامة والخاصة ليست بالأمر الهين، إذْ تتطلب شجاعة وحذاقة وحكمة وسياسة ولباقة في القول والعمل، وإلا كانت نتائجه وخيمة، فكم من كليمة حق ألقت بصاحبها إلى التهلكة من حيث لم يحتسب.

4. تقنيات الالتزام:

وظف ابن محرز تقنيات مختلفة، في ممارسته لالتزاماته، ذلك أن الالتزام فن له مقوماته وله طرقه وأساليبه. وقد تجلت تلك التقنيات في: تقنية السخرية، وتقنية المنام، وتقنية الأنسنة، وتقنية التعرية، وتقنية التزكية، وتقنية الإغراب، وتقنية كثافة التصوير.

1.4. تقنية السخرية:

إن السمة البارزة في أدب الوهراني هي السخرية الهادفة، فلا تكاد ترى في نصوصه غير المشاهد الساخرة الناقدة المثيرة للضحك والإعجاب؛ وتشعر أنه موهوب في فن السخرية والتهكم. وهو -دون ريب- "من خلال نتاجه شخصية فكهة، فليس من مقاماته ومناماته ورسائله ورقاعه مالا يبعث على الضحك وانبساط الأسارير"[41]. والمضحك في سردياته يقترن بالسخرية من عيوب الأفراد والمجتمع، أما موضوعات السخرية عنده فهي: العيوب الجسمية، والخلقية، والبخل، والنفاق، والجحود، والبلادة والإهمال، القصور العقلي، والجهل؛ أما الغاية فهي نقدية إصلاحية.

قال الوهراني: "عشرة أشياء من أبواب البر تسخط الله وترضي الشيطان، وهي انقطاع ابن الصابوني إلى الله -عز وجل- في القرافة، وتعصب الخبوشاني لقبر الشافعي، وتنفل القاضي قبل صلاة الجمعة وبعدها، وظهور سجادة في هذه الأيام عله السديد الطبيب للتراويح في شهر رمضان، وبكاء الفقيه البهاء على المنبر يوم الجمعة، وقراءة الوهراني السُّبع في صبيحة كل يوم، وسماع ابن عثمان لحديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- في جمعة

واحدة وإقراؤه لذلك على رؤوس الأشهاد، وحضور ابن مماتي لمجالس الوعظ في القرافة"[42].

2.4. تقنية المنام

إن المنام في حقيقته "غطاء لتجاوز الرقابة والضوابط الاجتماعية، وباب للتخلص من الممنوعات والمحرمات المفروضة ذاتيا، حيث يسمح له بتجاوز الحدود لاختراق المحرم الاجتماعي، ليتحول إلى وسيلة لتفلت من الرقابة بمختلف أشكالها"[43]. إنه "استرجاع قصة تخيُّلِيّة، جرت أحداثها في عالم النوم واللاوعي، الذي يمتزج فيه الواقع بالخيال، والمعقول باللامعقول، والمعلن بالمغيب، والممنوع بالمرغوب، مما أضفى بعدا فكريا وفنيا"[44].

قال الوهراني من منامه: "هذا عزرائيل ملك الموت، وهو يُعْنَى بالمهذب عناية عظيمة، وهو الذي شفع فيه، وخلصه من العذاب المقيم، فقلت لكم: من أين هذه المعرفة والمحبة بين المهذب وبين عزرائيل؟ فقال لي أبو المجد: من جهة الطِّب، أَمَا علِمت أنَّ المهذب كان من خيار أعوان ملك الموت في دار الدنيا. ما دخل قط إلى عليل إلا ونجزه في الحال، وأراح ملك الموت من التردد إليه، وشمّ الروائح المنتنة، والنظر إلى شخصه المزعج، وخلَّصه من الانتظار الطويل، فهو يرعاه لأجل هذا، ويحبه من ذلك الزمان"[45].

ولعل الفكرة النقدية في هذا المشهد المنامي غير خافية، إنه ينتقد طبيبا فاشلا يدعى المهذّب، زعم الوهراني أنه بجهله بالطب كان سببا في موت كل من عالجه، حتى سبق ملك الموت في قبض أرواحهم، وأراحه في مهمته كثيرا، فرضي ملك الموت عن الطبيب في مشهد يوم القيامة، وتوسط له بالنجاة من النار، وغير ذلك. ورغم قسوة الانتقاد في حق هذا الطبيب، إلا أن ما يشفع للوهراني أن المشهد كان في المنام ويوم القيامة، مما يبعد عنه كل شبهة، ويبطل كل تهمة. عن علي رضي الله عنه عن النبي –صلى الله عليه وسلم–قال" :رُفِعَ الْقَلَمُ عن ثلاثة: عن النائم حتى يَسْتَيْقِظَ، وعن الصبي حتى يَحْتَلِمَ، وعن المجنون حتى يَعْقِلَ[46]. "

3.4. تقنية الأنسنة:

قيل: "أنسنَ الإنسانَ :ارتقى بعقله فَهَذَّبه وثَقَّفه، أو عامله كإنسانٍ له عقل يميّزه عن بقيّة المخلوقات. وأنسن الحيوانَ :شبَّهَه بالإنسان"[47]. وكذا أنسن المكان شبهه بالإنسان. وظف ابن محرز تقنية أنسنة المكان والحيوان على السواء. فأنطق الحجر والشجر، وتحدث على ألسنتها بلسان عربي مبين، وعبّر عن حالها بأحسن ما يكون. ونعتقد أنه للتخفي والتستر وإبعاد شبهة نقده، إنه غطاء فمن يصدق أن الحيوان يتكلم او المكان، ولا يعتقده السامع إلا مازحا في سرده. ومن تلك النماذج خطبة له على لسان المئذنة.

حيث أنسنها وكتب على لسانها خُطبة على لسان قاضي القضاة، يطلب فيها من السامعين شكر الله تعالى على تشريف دولة بني العباس بالقاضي أبي القاسم عبد الملك بن درباس، الذي مدحه ومجده بخير الخصال وأجل الأعمال. حيث يقول: "الحمد لله الذي شرف الحكم بمجلس سيدنا القاضي صدر الدين، وجمله بإمام المهتدين، وطهر منصبه من احكام الملحدين، أحمده حمد مظلوم اوصله الله إليه، وأنصفه من خصمه بين يديه (..) أيها الناس، عن الله اخرجكم من الشك والالتباس، وشرف دولة أئمتكم من بني العباس، بالقاضي أبي القسم عبد الملك بن درباس، ذي العقل الرصين، والرأي الحصين، جعله الله شفاء للعقل السقيم، وملجأ للمسافر والمقيم"[48]

4.4. تقنية التعرية:

التعرية في اللغة معلومة، فإذا قلت تعرَّى فلان فمعناه نزع ثيابه، وتخلى عنها، وخلعها فهو عريان. أما في مجاز القول، وفي هذا المقام منه خاصة، فالتعرية هي الكشف والفضح الذي يمارسه الوهراني في سردياته، وقد سلطه على كل خصومه من الفقهاء والأمراء والمتصوفة وغيرهم. لا يخاف لومة لائم، ولا يخشى نقمة ناقم. وقد اختار لها الوهراني أقبح العبارات المخلة بالحياء، دون تكنية أو حياء.

ومن مقامته البغدادية، نورد حديثه عن الدولة الفاطمية، وأسباب سقوطها، ودور الأيوبيين في ذلك، ليتضح ما قصدناه، حيث يقول: "قال: فما تقول في الدولة المصرية،

والخلفاء العلوية؟ فقلت عجوز محتالة، وطفلة مختالة، وكاعب فتانة، وغادة مجانة (..) رباها السلطان في الحجور، بين الفسق والفجور، حتى غذا هرمت سعودها، ودوى عودها، رميت بالرواعد، فأتى الله بنيانهم من القواعد (..) قال كيف أخذت من أربابها، واستنزعت من أيدي أصحابها؟ فقلت له: اعلم انه لما احان الله حينهم، أظهر شينهم، وألقى بأسهم بينهم (..) حتى تفرقت أجنادهم (..) وسبق إليها رجال الفرنج، فصيروها كرقعة الشطرنج (..) فأنف من ذلك ذوو الأحلام، وملوك الإسلام، فانتدب لها من بني شادي الأسد الهصور، والملك المنصور، فرماها بهمته، وقصدها برمته (..) (ولما) انتقل إلى ربه، أجمع الناس بعد موته على تقليدها لابن أخيه الملك الناصر، لما جبل عليه من حميد الأوصاف، وإيثار العدل والإنصاف"[49]

5.4. تقنية التزكية:

قيل: إنّ "التَّزْكِيَةَ نَوْعَانِ :تَزْكِيَةُ السِّرِّ، وَتَزْكِيَةُ الْعَلاَنِيَةِ (..) ويُشْتَرَطُ فِي شَاهِدِ التَّزْكِيَةِ أَنْ يَكُونَ مُبْرِزًا نَاقِدًا فَطِنًا، لاَ يُخْدَعُ فِي عَقْلِهِ، وَلاَ تَخْفَى عَلَيْهِ شُرُوطُ التَّعْدِيلِ. وَلاَ تُقْبَلُ التَّزْكِيَةُ مِنَ الأَبْلَهِ وَالْجَاهِلِ بِشُرُوطِ الْعَدَالَةِ"[50]. وليست التزكية في قصدي ههنا سوى مدح الفضلاء، والإشادة بكرم الكرماء، والشكر على النوال والبذل والعطاء، من ذوي الجاه والسلطان والدين وغيرهم. ذلك أن الصواب في النقد البناء أن يكون صاحبه مُشِيدا بمحامد الناس بقدر ذكره لمثالبهم؛ والتزكية عكس التعرية في معناها.

إن تقنية المدح والتزكية تشهر أهل الخير، وتنشر طيب أفعالهم، وتشجع الناس على فعل الخيرات، وترك المنكرات. وكما أبدع الوهراني في تعريته أهل الشر، فقد أبهر في تزكيته أهل الخير. ومن ذلك ما كتبه للقاضي الفاضل: "لو أن بعض الفضلاء المتقدمين، أو أحد الفصحاء المتكلمين، خاض في أودية الأوهام، على بنات الأفهام، وغاص في بحار الأفكار، على المعاني الأبكار، ليمدح بذلك السبعة الدراري، حتى يجعل النجوم الجواري لها كالجواري، ثم يصفها بما يشرفها في أفلاكها، ويجملها في عيون أملاكها، لما وجد لها أكمل

من صفات مولاي القاضي الأجل أبقاه الله."[51].

6.4. تقنية الإغراب:

"حين نبحث في مكتبة النقد القديم عن مصطلح الإغراب باعتباره ظاهرة جمالية، فإننا لا نجد غير إشارات تقرنه بالتكلّف والتعقيد والمعاظلة والبعد عن الفصاحة والبلاغة، ناهيك عن كونها خللا فنيا يُفقِد الخطابَ قيمته الأدبية[52]. ولكن الجاحظ يخالف ذلك الرأي حيث يقول: "والناس موكلون بتعظيم الغريب، واستطراف البديع، وليس لهم في الوجود الراهن المقيم وفيما تحت قدرتهم من الرأي والهوى مثل الذي معهم في الغريب"[53].

أغرب الوهراني في معجمه حتى أعجز محقِّقَ كتابه وقرّاءه عن فهم مقصوده، فبعض مفرداته عامية، والأخرى فارسية ويونانية، والثالثة لا ندري ما هي. ولعل دلالة إغرابه إنما هي تعبير عن الحيرة والغربة الجسمية وعن الاغتراب الروحي الذي عاشه الوهراني في مصر والشام والعراق. ومن أمثلة غريب ألفاظه، ما كتبه إلى أبي القسم الأعور الملقب بالعون: "يا مولاي الشيخ الإمام الزاهد دبوس الإسلام **لت** (جمعه لتوت، ومعناه القدوم أو الفأس الكبيرة) الشريعة، **جرخ:** (كلمة فارسية وهو نوع من القوس، ترمى عنه النشاب) الفقهاء، **قنطارية:** (كلمة يونانية، وهو نوع من الرماح يصنع من خشب، يعرف باليونانية بهذا الاسم)، **تافروت:** (؟) الأئمة، طبل باز السنة، نصر الله خاطرك، وستر باطلك."[54].

7.4. تقنية كثافة التصوير:

يعالج الوهراني –في العادة–قضية واحدة، أو موضوعا واحدا في كل خطاب مستقل، وهو بذلك يحقق في نصه ما يصطلح عليه بالوحدة الموضوعية، التي حققت بدورها وحدة أخرى للنص هي الوحدة العضوية. ولعل هذه السمات الخطابية (الوحدة الموضوعية + الوحدة العضوية) في نصوص الوهراني هي التي مكنته من تكثيف التصوير على قضاياه، حيث تناولها متفردة، مما مكَّنه من التوسع في وصفها وسردها وتشكيل معانيها وتكثيف صورها. ونشعر أنَّ غاية الوهراني من كثافة التصوير البياني، حرق صورة المُصَوَّر بكثرة

أشعة الضوء المسلطة.

ومن أمثلة ذلك هذه الرسالة التي يفضح فيها أحد القضاة، وقد لقبه بقاضي الفاسقين؛ حيث يقول: "إليك أيها القاضي الأجم فخر القيادة وتاجها، قطب المعاصي وسراجها، عز العلوق وعمادها، (..) جمال الفسقة وعينها، شرف الزناة وزينها، أبو الثنا محمود بن يحيى اللخمي أدام الله لك السرور، ومتعك بالغفلة والغرور (..) تقضي بالعقوق، وتنهى عن الحقوق، أبدا إلى يوم ينفخ في البوق."[55].

خاتمة:

شكل الالتزام في سرديات الوهراني ظاهرة، من حيث أنواع الالتزام، وكثرته، وطريقة عرضه، وأثره على المنظومة الاجتماعية من الناحية السلوكية والدينية. وأثره في الحياة الأدبية، لنعتقد أنه مدرسة أدبية نقدية واسعة لم يسبق إليها، من حيث التقنيات التي وظفها، ناهيك عن التصوير التاريخي والكاريكاتوري الشامل لمجتمعه. وتبقى آثار الوهراني منبعا ثريا للدارسين، وتبقى شخصيته على الدوام تأملية إصلاحية فلسفية مثيرة للاهتمام، لا لشيء سوى أنه تناول الإنسان بصدق كيف كان، وكيف أراد له أن يكون، ولعل ذلك ما أشهره، وحبب شخصه، وخلد أدبه، رغم سلاطة لسانه، وفحش لفظه، وقسوة نقده.

الهوامش:

[1] ـ لسان العرب: محمد بن مكرم ابن منظور، لبنان، دار صادر، ط3، 1414هـ، ج12، ص541-542.

[2] ـ مقال دراسة تحليلية لملامح الالتزام في ديوان سيد رضا الهندي: شاهر خ أسدي نيا، مجلة آداب الكوفة، كلية الآداب، جامعة الكوفة، العراق، العدد: 46، 2020م، ص212.

[3] ـ الالتزام في الشعر العربي: أحمد أبو حاقة، لبنان، دار العلم للملايين، دط، 1979م، ص14.

[4] ـ الأدب الإسلامي قضاياه المفاهيمية والنقدية: عباس محجوب، الأردن، عالم الكتب الحديث، ط1، 2006م، ص125.

[5] ـ الأدب المقارن: محمد غنيمي هلال، مصر، دار نهضة مصر، ط3، 1977م، ص391.

[6] ـ المحاورات الكاملة -الجمهورية-: أفلاطون، ترجمة شوقي داود تمراز، لبنان، الأهلية للنشر والتوزيع، دط، 1994م، مج1، ص443.

[7] ـ ينظر: التراجيديا والفلسفة: والتر كاوفمان، ترجمة كامل يوسف حسين، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1993م، ص67-68.

[8] ـ شرح المعلقات السبع: حسين بن أحمد الزَّوْزَني، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2002م، ص215.

[9] ـ ينظر: رجال المعلقات العشر: مصطفى بن محمد الغلاييني، لبنان، المكتبة العصرية، دط، 1998م، ص201.

[10] ـ قيم جديدة في للأدب العربي القديم والمعاصر: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، مصر، دار المعارف، ط2، 1992م، ص41.

[11] ـ ديوان الشنفرى: عمرو بن مالك الشنفرى، جمع وتحقيق وشرح إيميل بديع يعقوب، لبنان، دار الكتاب العربي، ط2، 1996م، ص58-59.

[12] ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، لبنان، دار الجيل، ط5، 1981م، مج1، ص80-81.

[13] ـ ديوان النابغة الذبياني: النابغة الذبياني، جمع وتحقيق وشرح محمد الطاهر بن عاشور، تونس-الجزائر، الشركة التونسية للنشر والتوزيع - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، 1976م، ص248.

[14] ـ ديوان حسان بن ثابت: حسان بن ثابت، شرح وتهميش وتقديم عبدأ مهنا، لبنان، دار الكتب العلمية، ط2، 1994م، ص20-21.

[15] ـ ديوان الكميت: الكميت بن زيد الأسدي، جمع وشرح وتحقيق محمد نبيل طريفي، لبنان، دار صادر، ط1، 2000م، ص512-515.

[16] ـ تاريخ الأدب العربي: شوقي ضيف، مصر، دار المعارف، ط1، 1960م، ج2، ص293.

[17] ـ **الدولة الأيوبية:** (567- 648 هـ = 1171 - 1250م) تنسب الدولة الأيوبية إلى صلاح الدين الأيوبي، وهو من أسرة كردية أذربيجانية، هاجرت إلى العراق ثم إلى الشام، لتدخل في خدمة الأتراك السلاجقة. وقد كانت الخلافة الفاطمية في آخر أيامها، فقد استبد الوزراء بالسلطة وتنافسوا فيما بينهم، ودخلت فرق الجيش المختلفة) أتراك ومغاربة وسودانيون) في حلبة الصراع والمنافسة. ومن تلك النزاعات ما حدث بين الوزيرين شاور وضرغام. وحاول الصليبيون التدخل في شؤون مصر والمسلمين، فاستجار شاور بنور الدين زنكي أتابك الشام، واستعان ضرغام بالصليبيين، فبعث نور الدين بقائده أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين لنجدة شاور، فتمكنا من التغلب على ضرغام وقتلاه .وأصبح شيركوه وزيرًا للعاضد الفاطمي، وتحول شاور للصليبيين، فقتله شيركوه. وعندما توفي شيركوه خلفه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي. اتصف صلاح الدين بكثير من الصفات والفضائل السامية. كان ذا عقل راجح، وحلم عظيم، وشجاعة نادرة وتسامح كبير، فضلاً عن زهده في الدنيا وجهاده في الدين وإعلاء شأن الإسلام وحبه للعلم والخير .فأنشأ كثيرًا من المدارس والمستشفيات. ساعده في كل هذا وزيره المشهور القاضي الفاضل عبدالرحيم. ولي الحكم من بعده عشرة من أبنائه وأقاربه، وواصلوا جهادهم ضد الصليبيين، وسقطت دولتهم على أيدي المماليك

ـ الموسوعة العربية العالمية: لجنة من الأساتذة والباحثين، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، السعودية، ط2، 1999م، مادة: الأيوبية.

[18] ـ ينظر: إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر: محمد بن رمضان شاوش وآخر، الجزائر، طبع وإشهار داود بريكسي، ط2، 2005، ج1، ص140.

[19] - معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحديث: عادل نويهض، لبنان، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، 1980م، ص350.
[20] - الوافي بالوفيات: صلاح الدين الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط، لبنان، دار إحياء التراث، دط، 2000م، ج4، ص273-274.
[21] - شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الحنبلي، تحقيق محمود الأرناؤوط، سوريا - لبنان، دار ابن كثير، ط1، 1986م، ج6، ص417.
[22] - منامات الوهراني ومقامته ورسائله: محمد بن محرز الوهراني، تحقيق إبراهيم شعلان وآخر، كولونيا، ألمانيا، منشورات الجمل، ط1، 1998م، ص1.
[23] - نفس المصدر، ص207.
[24] - نفس المصدر، ص25.
[25] - نفس المصدر، ص127.
[26] - نفس المصدر، ص1.
[27] - الأدب الملتزم: جان بول سارتر، ترجمة جورج طرابيشي، لبنان، دار الآداب، ط2، 1967، ص44-45.
[28] - منامات الوهراني ومقامته ورسائله: محمد بن محرز الوهراني، صص96-98.
[29] - نفس المصدر، ص115.
[30] - نفس المصدر، ص194-196.
[31] - نفس المصدر، ص61-62.
[32] - نفس المصدر، ص130.
[33] - موسوعة السياسة: عبد الوهاب الكيالي وآخرون، دار الهدى، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دط، دتط، ج3، ص362.
[34] - منامات الوهراني ومقامته ورسائله: محمد بن محرز الوهراني، ص2.
[35] - نفس المصدر، ص200.
[36] - نفس المصدر، ص07.
[37] - المعجم الفلسفي، جميل صليبا، لبنان، دار الكتاب اللبناني، دط، 1982م، ج1، 158.
[38] - منامات الوهراني ومقامته ورسائله: محمد بن محرز الوهراني، ص209.
[39] - نفس المصدر، ص90-92.
[40] - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، لبنان، دار صادر، ط1، 1971م، ج4، ص385.
[41] - تاريخ الأدب الجزائري: محمد الطمار، تقديم عبد الجليل مرتاض، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2010م، ص161.
[42] - منامات الوهراني ومقامته ورسائله: محمد بن محرز الوهراني، ص232.
[43] - مقال موضوعات السرد في منامات الوهراني -قراءة وصفية-: محمد صالح، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي تامنغست، الجزائر، المجلد9، العدد5، ص470.
[44] - مقال المنامات لون نثري في الأدب العربي -دراسة في المنام الكبير للوهراني: محمد رشدي علاء الدين، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، العراق، المجلد19، العدد7، 2012م، ص323.
[45] - منامات الوهراني ومقامته ورسائله: محمد بن محرز الوهراني، ص40-41.

[46] ـ صحيح الكتب التسعة وزوائده، صلاح الدين أبو خضرة وآخران، مصر، مكتبة الإيمان، ط2، 2019، ص93.
[47] ـ معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عمر، مصر، عالم الكتب، ط1، 2008م، ص130.
[48] ـ منامات الوهراني ومقامته ورسائله: محمد بن محرز الوهراني، ص95-96.
[49] ـ نفس المصدر، ص4-5.
[50] ـ الموسوعة الفقهية الكويتية: مجموعة من المؤلفين، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، دار السلاسل، ط2، 1427ه، ج11، ص243-244.
[51] ـ منامات الوهراني ومقامته ورسائله: محمد بن محرز الوهراني، ص111.
[52] ـ ينظر: جماليّة الإغراب في الخطاب الشعري عند ابن خميس التّلمساني: سعد حمادة، مخطوط مذكرة ماجستير، تخصص الأدب الجزائري القديم، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2008م، ص8.
[53] ـ البيان والتبيين: عمرو بن عثمان الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، لبنان، دار ومكتبة الهلال، دط، 1423هـ، ج1، ص90.
[54] ـ منامات الوهراني ومقامته ورسائله: محمد بن محرز الوهراني، ص128.
[55] ـ نفس المصدر، ص176-177.

المصادر والمراجع:

- أحمد أبو حاقة، الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، لبنان، دط، 1979م.
- أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1971م.
- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2008م.
- أفلاطون، المحاورات الكاملة -الجمهورية-، ترجمة شوقي داود تمراز، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، دط، 1994م.
- جان بول سارتر، الأدب الملتزم، ترجمة جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط2، 1967م.
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، لبنان، دط، 1982م.
- حسان بن ثابت، الديوان، شرح وتهميش وتقديم عبدأ مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1994م.
- الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1981م.
- حسين بن أحمد الزَّوْزَني، شرح المعلقات السبع، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.
- سعد حمادة، جماليّة الإغراب في الخطاب الشعري عند ابن خميس التّلمساني، مخطوط مذكرة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2008م.
- شاهر خ أسدي نيا، مقال دراسة تحليلية لملامح الالتزام في ديوان سيد رضا الهندي، مجلة آداب الكوفة، كلية الآداب، جامعة الكوفة، العدد46، 2020م.
- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، مصر، ط1، 1960م.

- صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث، لبنان، دط، 2000م.
- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحديث، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، ط2، 1980م.
- عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، قيم جديدة في للأدب العربي القديم والمعاصر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1992م.
- عباس محجوب، الأدب الإسلامي قضاياه المفاهيمية والنقدية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2006م.
- عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، دار الهدى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، دط، دتط.
- ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، سوريا - لبنان، ط1، 1986م.
- عمرو بن عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، لبنان، دار ومكتبة الهلال، دط، 1423هـ.
- عمرو بن مالك الشنفرى، ديوان الشنفرى، جمع وتحقيق وشرح إيميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1996م.
- الكميت بن زيد الأسدي، الديوان، جمع وشرح وتحقيق محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.
- لجنة من الأساتذة والباحثين، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة اعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط2، 1999م.
- مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط2، 1427ه، دار السلاسل، الكويت.
- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، تقديم عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2010م.
- محمد بن رمضان شاوش وآخر، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، طبع وإشهار داود بريكسي، تلمسان، الجزائر، ط2، 2005.
- محمد بن محرز الوهراني، منامات الوهراني ومقامته ورسائله، تحقيق إبراهيم شعلان وآخر، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، ط1، 1998م.
- محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، لبنان، ط3، 1414هـ.
- محمد رشدي علاء الدين، مقال المنامات لون نثري في الأدب العربي –دراسة في المنام الكبير للوهراني، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، المجلد19، العدد7، جويلية 2012م
- محمد صالح، موضوعات السرد في منامات الوهراني -قراءة وصفية-، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي تامنغست، الجزائر، المجلد9، العدد5.
- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار نهضة مصر، مصر، ط3، 1977م.
- مصطفى بن محمد الغلاييني، رجال المعلقات العشر، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، دط، 1998م.

- النابغة الذبياني، الديوان، جمع وتحقيق وشرح محمد الطاهر بن عاشور، الشكة التونسية للنشر والتوزيع – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس-الجزائر، دط، 1976م.
- والتر كاوفمان، التراجيديا والفلسفة، ترجمة كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.